فن المقامة بين ((الهمذاني))
و ((عائض القرني))
دراسة في الموازنات الأدبية

الدكتورة

شرين عبده محمد خضر

أستاذ مساعد بكلية الآداب - جامعة الطائف

العدد الثاني والعشرون

للعام ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

الجزء الأول

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٨م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

المقدمة

المقامة فن قديم من فنون الأدب ، ذاع صيته في حقبة من تاريخ أدبنا العربي ، وهو القرن الرابع الهجري على يد (بديع الزمان الهمذاني) المتوفي سنة ٣٩٨ هـ .

وتتضمن المقامة عادة قصة طريفة حول أحد المحتالين الأذكياء البلغاء الذين يحتالون على أموال البسطاء من الناس بالحيلة والفطنة والذكاء ، ولها غاية تعليمية إذ يتعلم منها الناس غريب اللغة ،والسجع ،وفنون البلاغة بصورة تطبيقية سهلة وواضحة .

وتبع الهمذاني الحريري في مقاماته ، وأخذ منهجه وابتدعه وحظي دربه .

ومن الكُتّاب الذين أُعجبوا بهذا الفن الأدبي الدكتور عائض القرني ، وله كتاب كامل في فن المقامات سماه (مقامات عائض القرني) ، وشمل الكتاب الكثير من المواضيع الإيمانية، والدعوية ،والعقدية ،والعملية في صورة مقامات جميلة وبليغة ، فكان باكورة عمل أدبي بصيغة إسلامية مميزة .

وقسمت البحث إلي تمهيد وثلاثة مباحث هي :

التمهيد : ويتناول التعريف بعائض القرنى ونشأته.

المبحث الأول : ويشمل التعريف بفن المقامات .

المبحث الثاني : ويتناول الحديث عن رواد فن المقامات في الأدب العربي .

المبحث الثالث : ويشمل آليات التشكيل الفني في مقامات كلٍ من الهمذاني وعائض القرني من ناحية :

عتبات النص – المحسنات البديعية – الاقتباس والتضمين – التناص .

أولاً- التمهيد

عائض القرنى: مولده ونشأته ،ودراساته ، وأهم مؤلفاته

عائض بن عبد الله القرني كاتب وشاعر، وداعية إسلامي سعودي،له الكثير من الكتب والخطب والمحاضرات الصوتية والمرئية من دروس ومحاضرات وأمسيات شعرية وندوات أدبية.

وُلد القرني بقرية " آل شريح "بمحافظة بلقرن في ١يناير عام ١٩٥٩ م وحصل على الشهادة الجامعية من كلية أصول الدين من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ثم حصل على الماجستير من جامعة الإمام في الحديث النبوي عام ١٤٠٨هـ، ثم على الدكتوراه من جامعة الإمام عام ١٤٢٣ هـ بعنوان" المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم للقرطبي" دراسة وتحقيقا، ودرّس القرني في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الحديث النبوي مدة سبع سنوات . وشغل منصب الأمين العام لمؤسسة لا تحزن للإعلام والنشر(١) .

" كنت أدرس في أبها ،والعلم عندي من الشهد أشهى ،أسير في الحارة ، من البيت إلى المنارة ، وقليلا ما أركب السيارة . كانت الكتب أغلى عندي من الذهب ، فإذا تفردت بكتاب ، نسيت الأصحاب والأحباب .

كنت أصلي الفجر ، ثم أجلس في مصلاى لطلب الأجر ،فإذا داعبني النعاس ، قلت : لا مساس ، فإذا غدا الطير من وكره وطار ، وقضيت وجبة الإفطار ، ذهبت إلى الكلية ، ونسيت الدنيا بالكلية ، وكان زملائي أهل جد وجلد ، والكل منهم مثابر مجتهد "(٢) .

---

(1) http://ar.wikipedia.org/wiki%d8%b9d8%

(٢) القرني ،عائض :مقامات القرني- المقامة الجامعية ،ط٦ ، مكتبة العبيكان الرياض، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨ م ،ص ٢٢٣.

تفرّغ القرني للدعوة وزار كثيراً من الدول وحضر عشرات المؤتمرات ،وألّف أكثر من ثمانين كتاباً وأشهرها كتاب لا تحزن، والذي بيع منه أكثر من مليون نسخة، وتُرجم إلى عدة لغات، وبالإضافة لكتاب التفسير الميسر، وأسعد امرأة في العالم، ومقامات القرني، والفقه الميسّر، وفقه الدليل، وعاشق، والعظمة، وحدائق ذات بهجة، وقصة الرسالة، وأعظم سجين في التاريخ، وإمبراطور الشعراء، وقصائد قتلت أصحابها، وديوان شعر بعنوان القرار الأخير وغيرها من الكتب في الحديث والتفسير والفقه والأدب والسيرة.

وأنهى القرني تأليف الموسوعة الإسلامية في ١٢ مجلدا مع المشاركة بخمسة برامج تليفزيونية دائمة في التفسير ،والحديث ،والسيرة ،والثقافة والأدب، وله أكثر من ألف شريط كاسيت إسلامي في الخطب ،والدروس والمحاضرات ،والأمسيات الشعرية،والندوات الأدبية .

"نشأ الشيخ " عائض القرني " نشأة دينية منذ طفولته ،فحرص على حفظ القرآن الكريم ، ثم طالع تفسير الجلالين وتفسير ابن كثير ، كما قرأ قسما كبيرا من تفسير ابن جرير بالإضافة إلى اهتمامه بأحاديث التفسير، ليتجه بعد ذلك إلى العمل الدعوي من خلال سلسلة من المحاضرات الدينية ،والدروس العلمية ، كما كان إماما وخطيبا لجامع أبي بكر الصديق في أبها .

وإلى جانب حلقات العلم في المساجد والندوات قام الداعية " عائض القرني "بإلقاء مجموعة من الدروس الدينية على شاشات القنوات الفضائية ، ومن بينها " قناة اقرأ " و" قناة دبي " و " قناة الراية "، كما كتب العديد من المقالات في صحيفة الدستور المصرية وصحيفة المدينة المنورة السعودية ، بالإضافة إلى عدد من الصحف العربية الأخرى"[1] .

(1) – http:llgololy.comlcvl%d8%b9%d8%a7%d8%a6%d8%b6.

ويقول عنه د/ ناصر الزهراني :

"ما رأيت في حياتي مثله في موسوعيته ، فهو بقدر ما يحفظ من القرآن بقدر ما يحفظ من الحديث ، بقدر ما يحفظ من الشعر بقدر ما يحفظ من التاريخ ، بقدر ما يحفظ من القصص ، بقدر ما يحفظ من عجائب العالم ، و حوداث الدنيا ، وهذه ميزة عظمى ، وسمة كبرى "[١] .

وكان الشيخ يتميز بحسن التعامل مع النصوص ، فهو لا يهتم بمجرد اللفظ، بل يتميز بفهمه الثاقب ، ونظره العميق ، وتحليله للنصوص ،وقد يشرح سورة قصيرة لا تزيد عن ثلاث آيات فيطول به المقام حتى يقرب النص إلى الذهن.

وحصل الدكتور عائض بن عبد الله القرني على جائزة المؤلف العربي الأول من قبل رابطة الفن الإسلامي بمقرها في مملكة البحرين الشقيقة. وقد قامت الرابطة بعمل بحث ميداني للكتب في المكتبات ،وقد حاز الدكتور عائض القرني على جائزة المؤلف العربي الأول استناداً على أكثر الكتب إصداراً وانتشاراً حيث كانت الكتب الأكثر انتشاراً هي: لا تحزن، أسعد امرأة في العالم، ابتسم، محمد كأنك تراه.

يعد الداعية السعودي " عائض القرني " أحد أبرز رواد الصحوة في الثمانينات والتسعينات ، وهو صاحب منهج وسطي لأهل السنة والجماعة ولديه أكثر من ٨٠٠ خطبة صوتية إسلامية في الدروس، والمحاضرات والأمسيات الشعرية والندوات الأدبية .

---

(١) القرني ، عائض : مقامات عائض القرني ، ط٦ ،مكتبة العبيكان ،الرياض ،١٤٢٩ هـ -٢٠٠٨ م، ص٢١ .

وللشيخ ــ حفظه الله ــ مجالٌ واسع في الدعوة إلى الله تعالى ، ونشاطه في ذلك معروف عند العلماء والدعاة و طلبة العلم وعوام الناس لا يحتاج إلى بيان ولا أدل على هذا من هذه الأشرطة التي سُجلت له ،فقد بلغت أكثر من ألف شريط، والشيخ قد ألقى هذه المحاضرات في المساجد والنوادي والمؤسسات والشركات والكليات والجامعات وغيرها ، فبارك الله في دعوته وكتب له القبول عند الناس ، هذا وقد كان يشجعه كثيراً سماحة العلامة الإمام ابن باز رحمه الله تعالى على مواصلة طريق الدعوة .

ويتحدث الدكتور عائض القرني عن مواقفه مع الشيخ عبد العزيز بن باز يقول :

" المواقف كثيرة على كل حال لكنني كنت أحضر درسه بعد صلاة الفجر في الجامع الكبير ، وشرف بيتي الذي أسكن فيه الآن وقام بافتتاحه ، وأول من دخل هذا البيت كان على افتتاحه على شرف سماحته ، في حفل حضره جمع من العلاء والمسؤولين وطلبة العلم "[١] .

ومن الشخصيات التي حرص الشيخ على القراءة لها والاطلاع على كتاباتهم ابن تيمية وابن القيم ،يقول :

"أكثر شخصية قرأت لها فيما أعلم ابن تيمية ، وقد قرأت في الفتاوى والحمد لله ، وكررت منه بعض المجلدات ثلاث أو أربع مرات ، وبعض المجلدات ما قرأته إلا مرة ، وأظن أني ما فهمته إلى الآن ...وابن القيم تعجبني كتبه ، ولكن العجيب كتب ابن تيمية ، وأنا أنصح بها كثيرا ، وأتمنى من إخواني أن يطالعوها بإسهاب ، وأن يصبروا على المطالعة فإنها هي العلم ..."[٢] .

---

(١) المالكي ، محمد بن حميدان : حوار ساخن مع د. عائض القرني ، ط٣ ،ج١ ،مكتبة الرشد ، بيروت ،١٤٢٤ هـ ، ص ٢٨ .

(٢) نفسه ص ١٧٠ .

وتعرض الشيخ لمحاولة اغتيال في مدينة زامبوانغا.

و " في يوم الثلاثاء ١ مارس ٢٠١٦م تعرض القرني لمحاولة اغتيال أثناء إلقائه محاضرة دينية في مدينة زامبوانغا جنوب الفلبين، حيث تعرض لإطلاق ناري مما تسبب بإصابته في ذراعه. "(١)

ومن أجمل ما كتب الدكتور ناصر الزهراني ثورة الحب ، وهي عبارة عن الأبيات الشعرية التي قرضها الدكتور في يوم مناقشة عائض القرني لرسالة الدكتوراه ،وسمى هذه الأبيات ثورة الحب .

" هذه همسات من حديث الحب ، ونفحات من عبير الود ، فاضت بها النفس ، وجاد بها القلب ، وسطرها البيان ، وترجمها البنان ، أزفها لأبر حبيب ، وأعز صديق ، في يوم مناقشته لرسالة الدكتوراه . إنه الدكتور عائض بن عبد الله القرني .

جنينا ثمار البذل والفضل والجهد فأنس على أنس وشهد على شهد

وهذا غراس المجد يؤتي ثماره وفي الصبر مفتاح لبوابة السعد

يغني الجنوب اليوم أنسا وبهج وتعزف ألحان المسرات في نجد

ويا شيخنا المقدام هذا دعاؤنا وهذي تهانينا لما نلت من مجد(٢).

" ألف القرني في الحديث والتفسير والفقه والأدب والسيرة والتراجم، وله دواوين شعرية منها :

- لحن الخلود

---

(١) http://ar.wikipedia.org/wiki%d8%b9d8%

(٢) القرني ، عائض : مقامات عائض القرني ،ط٦ ،مكتبة العبيكان الرياض ،١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ص٢٩ .

- تاج المدائح
- هدايا وتحايا
- قصة الطموح
- **ومن مؤلفاته التي أصدرها** :

- الإسلام وقضايا العصر
- تاج المدائح
- ثلاثون سببا للسعادة .
- دروس المسجد في رمضان.
- فاعلم أنه لا إله إلا الله .
- مجتمع المثل .
- ورد المسلم والمسلمة .
- فقه الدليل.
- نونية القرني .
- المعجزة الخالدة .
- اقرأ باسم ربك .
- تحف نبوية.
- حتى تكون أسعد الناس .
- سياط القلوب .
- فتية آمنوا بربهم .

- هكذا قال لنا المعلم.
- ولكن كونوا ربانيين .
- من موحد إلى ملحد.
- إمبراطور الشعراء.
- وحي الذاكرة .
- حدائق ذات بهجة .
- العظمة .
- لا تحزن .
- وجاءت سكرة الموت بالحق .
- مقامات القرني .
- -احفظ الله يحفظك .
- أعذب الشعر .
- العظمة
- التفسير الميسر
- على ساحل ابن تيمية
- أسعد امرأة في العالم "(١) .

(١) http://ar.wikipedia.org/wiki%d8%b9d8%

المبحث الأول:

التعريف بفن المقامة

المقامة في اللغة:

المقامات فن قصصي ظهر في القرن الرابع الهجري على يد بديع الزمان الهمذاني، واستُعملت المقامة في اللغة بمعنى المجلس؛ يقول ابن منظور :

" والمُقامة بالضم (الإقامة) يُقال أقام الرجل ومقامة " كالمقـــام والمقـــام "بالفتح والضم قد يكونان للموضع لأنك إذا جعلته من قام يقوم فمفتوح وإن جعلته من أقام يُقيم فمضموم فإن الفعل إذا جاوز الثلاثة فإن الموضع مضموم الميم لأنه مُشتبه ببنات الأربع نحو دحرج وهذا مدحرجنا وقوله تعالى :

" لا مُقَامَ لكم " أي لا موضع لكم، وقُرئَ بالضم أي لا إقامة ، وقوله تعالى : "حسُنت مُسْتقرًا ومُقاما" أي موضعًا "(١) .

ومن يرجع إلى الشعر الجاهلي يجد الكلمة تُستعمل فيه بمعنى المجالس ، "يقول زهير بن أبي سُلمى في بعض شعره :

وفيهم مقامات حسان وجوهها وأندية ينتابها القول والفعلُ

وإن جئتهم ألفيت حول بيوتهم مجالس قد يُشفى بأحلامها الجهل "(٢) .

فالكلمة تُستعمل في العصر الجاهلي أحيانا بمعنى المجلس ، وأحيانا أخرى بمعنى الجماعة التي يضمها هذا المجلس، وأطلق العرب على الجماعة من الناس " نديا "

---

(١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين : لسان العرب ، دار الصادر ، بيـــروت ، ١٩٦٨ م ، ص ٣٦.

(٢) ابن أبي سُلمى ، زُهير : ديوان زُهير ، طبع دار الكتاب ، ط١ ، مصر .د.ت ،ص١١٣.

وهو استخدام مجازي للكلمة التي تعني في أصلها المكان الذي يجتمعون فيه .

ووردت كذلك في القرآن الكريم اسما لموضع القيام كما في قوله تعالى : " واتخذوا من مقام إبراهيم مُصلى "[١] .

ثم توسع العرب في معنى الكلمة فأصبحوا يطلقونها على خطبهم وأحاديثهم التي يقولونها في مجالسهم .

" واستمرت الكلمة تدل على المعنيين حتى عصر بديع الزمان نفسه، إذ نجده يستخدمها في رسائله بمعنى المجالس ، كما استخدمها الثعالبي بنفس المعنى، وفي أخبار البديع أنه كان يختم مقامه أو مجلسه في نيسابور بقصة من هذه القصص، ولعله من أجل ذلك اختار لها اسم "المقامات" "[٢] .

وكانت العرب تُطلق على المجلس القديم أو ما يدور فيه اسم " المقامة "ويعرف السيوطي المقامة بأنها :

" نوع أدبي ولون من النشر له خصائصه الفنية ودعائمه الأساسية يتوخى مؤلفها طرح ما يشاء من أذكار أدبية أو خواص تأملية ، أو انفعالات وجدانية أو مهارات لغوية في صورة ذات ملامح بديعة وسمات زخرفية"[٣] .

---

(١) سورة البقرة ، الآية (١٢٥).

(٢) ضيف ، شوقي : الفن ومذاهبه في النثر العربي ، دار المعارف ،مصر ١٩٦٠ م ، ص ٢٤٧.

(٣) السيوطي ، جلال الدين : مقامات السيوطي الأدبية ، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع ، القاهرة ، د . ت ، ص ٣.

ويقول يوسف عوض :

" ولا يزال كثير من العرب في منطقة الخليج العربي يطلقون على مجتمع المسامرة اسم المجلس أيضا ، ومجتمع المسامرة عند العرب ضارب بجذوره في عمق التاريخ، فقد كانت الصحراء في الجاهلية تتحول في الليل إلى مجالس سمر يتحدث فيها الأعراب بقصص الجن والحيوان ويتحدثون بالمواعظ والأمثال "[١] .

وإذا تتبعنا تطور المدلول اللغوي إلى المدلول الفني وجدنا أنماطا مقامية مختلفة منها " مقامات الزهاد " التي روى ابن قتيبة بعضا منها في كتابه " عيون الأخبار وهي مواعظ يقف بها الراوي أمام الخليفة لنصحه وإرشاده .

" ولقد ظهرت إلى جانب مقامات الوعاظ هذه مقامات أخرى كانت رحاها تدور في داخل المساجد واشتملت على ألوان من القصص والأساطير وفنون الحرب والثقافة العامة إلى جانب الغاية الوعظية و ويبدو أن الناس كانوا يفضلون هذه الطريقة ويؤثرونها على طريقة الوعظ المباشر"[٢] .

وكان الخلفاء يشجعون هذه الطريقة ، وخاصة معاوية الذي عين في بعض المساجد رجلا في منصب " قاص "مهمته أن يذكر الناس وينصحهم عن طريق القص ، ولقي هذا الأسلوب نجاحا كبيرا، ذلك أن القصاص استحوذوا على قلوب الجماهير بما كانوا يروونه من قصص ونوادرفي الوقت الذي ضجرت فيه الجماهير من أسلوب الوعظ الجاف .

و " جاء في الرسالة العذراء لابن المدبر أن أهل القرن الثالث الهجري كانوا يعرفون نوعا من المحاورات الأدبية يُسمى المقامات ، وهو يوصي

---

(١) عوض ، يوسف نور : فن المقامات بين المشرق والمغرب ، مكتبة الطالب الجامعي ، ط ٢ ، ١٩٨٦ م ، ص ١٠ .

(٢) المرجع السابق ص ١١.

المتأدب ويقول : " وانظر في كتب المقامات والخطب ومحاورات العرب " ويريد بالمقامات الخطب أو المواعظ التي كانت تلقى في حضرة الخليفة ثم انتقل بعد ذلك معنى المقامة إلى كلام الكدية والاستجداء بلغة مختارة ، وتناول بديع الزمان اللفظة مع ما التصق بها من معنى التسول الأنيق وأنشأ مقاماته "[١] .

من كل ما تقدم نخلص إلى أن المقامة – في إطارها اللغوي – تطلق على الحديث الذي يلقى على جماعة من الناس إما بغرض النصح والإرشاد ،وإما بغرض الثقافة العامة أو التسول .

وتصور المقامات حياة الأدباء السيارين الذين كانوا يسمون الساسانيين نسبة إلى ساسان ،وهو شخص فارسي قديم يقال إن أباه حرمه من الملك فهام على وجهه محترفا للكدية ،ومن ثم احتلت طائفة الساسانيين هذه حيزا في الحياة الأدبية في القرن الرابع الهجري .

و" المقامة ثمرة تيارين في الأدب العربي تيار أدب الحرمان والتسول الذي انتشر في القرن الرابع للهجرة ، وتيار أدب الصنعة الذي بلغ به المترسلون مبلغا بعيدا من التأنق والتعقيد . أما الحرمان فقد كان نصيب الكثرة الكثيرة من الناس في القرن الرابع ، وكان أدب التسول صورة لطائفة كبيرة من الناس تنكرت لها الأيام فلجأت إلى ألوان من الحيل لكسب العيش "[٢] .

ويعرف الدكتور يوسف نور عوض المقامة بقوله : " والمقامة الفنية قصة قصيرة بطلها نموذج إنساني مكد ومتسول لها راو وبطل وتقوم على حدث طريف مغزاه مفارقة أدبية أو مسألة دينية أو مغامرة مضحكة تحمل في داخلها

---

(١) القرني ، عائض : مقامات القرني ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط ٦ ، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م ، ص ١٣ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤.

لونا من ألوان النقد أو الثورة أو السخرية وضعت في إطار من الصنعة اللفظية والبلاغية"[١] .

إن مقامات عائض القرني التي نحن بصددها عبارة عن مقالات فنية علمية ، يتناول فيها الأديب موضوعا فرديا أو اجتماعيا تناولا أدبيا مبنيا على إثارة عواطف القارئ ومشاعره .

وسُميت مقالات لأنها تبدأ بالحديث أو النصوص المناسبة للموضوع الذي يعالجه .

ويرى الدكتور عائض القرني أن هدف المقامة تعليمي ، وقد انحصر هذا التعليم في اللغة والبيان أولا ، ثم تناول شتى المصارف الشائعة في كل عصر .

" والمقامة في النشر أشبه شيء بالمنظومات الشعرية التي كانت تنظم قليلا في موضوعات النحو والعروض والبيان والمنطق تسهيلا للحفظ ، وقد أجريت على أسلوب السجع الموسيقي لهذه الغاية نفسها ؛ وهي ، وإن كانت ذات غاية تعليمية ، فقد أصبحت شيئا فشيئا ميدانا واسعا لإظهار البراعة وبسط المعرفة ، والتباهي بالمحصول العلمي ولا سيما اللفظي "[٢] .

وهناك اختلافات كثيرة في أصل المقامات ، هل هي عربية الأصل أم غير عربية ؟ " وذهب الأستاذ أحمد شوقي ضيف : إلى أن أصل المقامة فارسي . وأنها انتقلت من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية "[٣] .

---

(١) عوض ، يوسف نور : فن المقامات بين المشرق والمغرب ، مكتبة الطالب الجامعي ، ط ٢، ١٩٨٦ م ص ١٢.

(٢) القرني ، عائض ، مقامات القرني ، ط ٦ ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٤٢٩هـ /٢٠٠٨م ، ص١٤.

(٣) عوض ، يوسف نور : فن المقامات بين المشرق والمغرب ، مكتبة الطالب الجامعي ، ط٢ ، ١٩٨٧م ، ص١٣.

ورد عليه هذا القول كثير من مؤرخي الأدب من نـــاحيتين : " الناحيـــة الأولى : ما ذكره الدكتور مجاب من أن ظهور المقامات فـــي اللغتـــين العبريـــة والسريانية كان بعد ظهور ترجمة مقامات الحريري إلى الســـريانية ، ولـــو ان المقامات الفارسية سابقة للمقامات العربية لكان الأولى أن تنتقل الترجمة عنها ، تماما كما حدث مع كتاب كليلة ودمنة الذي ترجم إلى السريانية قبل ان يتـــرجم إلى العربية ، ولقد كان في اعتقاد القاضي حميد الين أبي بكر بن محمود البلخي المتوفى سنة ٥٥٩هـــ في مقدمة مقاماته المشهورة بمقامات حميدي دليل أكيد على أن هذه المقامات نقلت من العربية غلى الفارسية ... وقد ذكر بر وكلمـــان أن هذا الفن انتقل بفضل بديع الزمان إلى اللغة الفارسية و أن أول من عرف من مقامي الفرس هو القاضي حميد الدين ودخلت المقامات إلى العبرية عن طريـــق الترجمة "[١] .

أما الناحية الثانية : التي تبين أن المقامة عربية الأصل فهي قدرتنا على تتبع الأصول التي صاغ منها بديع الزمان نموذجه الفني ،ويرى بعض البـــاحثين أن هناك نماذج مقامية عربية سبقت أقدم نموذج مقامي فارســـي وصـــل إلينـــا ،وذلك قبل مقامات بديع الزمان بوقت طويل،وهناك تباين في الآراء بين النقـــاد والباحثين ، بحيث يعتقد جرجي زيدان أن بديع الزمان الهمذاني اقتـــبس أســـلوب مقاماته من رسائل إمام اللغويين، أبي الحسين أحمد بن فارس (٣٩٠هـــ)[٢] .

بينما يعتبر" الدكتورزكي مبارك أن مقامات الهمذاني مشتقة من أحاديـــث بن دريد (٣٢١هـــ) ويرى بين مقامات الهمذاني وأحاديث بن دريـــد مشـــابهات قوية"[٣] .

---

(١) نفسه ص ١٤ .

(٢) البستاني، أدباء العرب، ج ٢، ص ٣٨٩.

(٣) مبارك، زكي : النثر الفني، ج ١،د.ت ، ص ١٩٧.

أغراض المقامات عند العرب :

فن المقامات من الفنون الأدبية التي لها أغراضها ، و موضوعاتها التي يهدف إليها أدباء المقامات ، و يبذلون مجهودا كبيرا حتى يصلوا إلى غايتهم المنشودة ومن أهم أغراض المقامات التي اتفق عليها الباحثون :الكدية والتعليم والوعظ والفكاهة والألغاز .

١- الكدية :

الكدية صفة ملازمة لبطل المقامات ففي كثير من الأحيان يظهر البطل في المقامات كما فعل أبو الفتح الإسكندري ، وأبو زيد السروجي في شكل أديب شحاذ يتفنن في أساليب الاحتيال والتسول حتى يكسب لقمة عيشه ،ويُخرج الدراهم من جيوب الناس ، والكدية تختلف باختلاف بطل المقامة فهي عند الهمذاني تشكل قمة المأساة بالنسبة لبطله ، وكان الحريري يقلد بطل الهمذاني فكانت الكدية عنده المرآة التي يعكس بها ظروف بطله ومعاناته في المجتمع الذي يعيش فيه .

وهناك عدد من المقامات تخصص موضوعها في الكدية .

" ووسيلة الإسكندري إلى ذلك براعته البلاغية كما في المقامة " الأزادية " التي روى فيها عيسى بن هشام أنه خرج ذات يوم إلى بغداد كي يشتري بلحا وفي طريق عودته لمح رجلا يحتضن عياله ويقول بصوت فيه ضعف :

ويلي على كفين من سويق ∴ أو شحمة تضرب بالدقيق

أو قصعة تملأ من خرديق ∴ يفتأ عنها سطوات الريق[1]

---

(١) عبد الحميد ، محيي الدين : مقامات بديع الزمان الهمذاني وشرحها ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د . ت ص ١١.

فما كان من ابن هشام إلا أن أعطاه شيئا من ماله .

وكان أبو الفتح الإسكندري يتبع ألوانا مختلفة من الحيل في كثير من المواسم والأماكن ، وسار السروجي على منواله أيضا .

٢- التعليم :

التعليم من أهم أغراض المقامات عند العرب ، فقد كان بديع الزمان حريصا على أن تكون مقاماته إلى جانب فوائدها الاجتماعية ذات فائدة تعليمية أيضا ، وكان الإسكندري يستخدم أساليب ممنوعة من الصرف لا تنون ليبين أنواع التعليم والطرق إليه، وكيفية التوصل إليه مثل الأسئلة المحيرة والألغاز وغيرها من الوسائل الأخرى .

ويوضح الإسكندري منهجا خاصا في تحصيل العلم وظهر ذلك في "المقامة العلمية."

روى عيسى بن هشام " كنت في مطارح الغربة مجتازا فإذا برجل يقول لآخر أدركت العلم وهو يجيب قال : طلبته فوجدته بعيد المرام لا يصطاد بالسهام ولا يقسم بالأزلام ولا يرى في المنام ولا يضبط باللجام ولا يورث عن الأعماق ولا يستعار من الكرم فتوسلت إليه بافتراش المدر واستناد الحجر ورد الضجر وركوب الخطر وإدمان السهر واصطحاب السفر وكثرة النظر وإعمال الفكر"[(١)] .

٣- الوعظ :

الوعظ أيضا من الأغراض التي تناولتها المقامات ، فمن خلال الواعظ يُظهر الكاتب حكمته الدنيوية بأن هذه الدنيا دار فناء، وأن العمل الصالح هو الذي يتوجه به المخلوق إلى خالقه ، ويرجو به ثواب الآخرة .

---

(١) المرجع نفسه ص ٢٠٢.

" غير أن الهمذاني يخضع الظاهرة للنقد ويقدم لنا ثلاثة أنماط من الوعظ هي :

أ- الوعظ المجرد من الهوى ، والمقصود به الإصلاح الحقيقي .

ب- الوعظ الذي يتخذه أصحابه تقية لتحقيق مآربهم .

ت- الوعظ المتستر على الضلال "[١]

وعلى سبيل المثال يقول الهمذاني في المقامة القزوينية :

" وفيها يقف الإسكندري على جماعة بينهم الراوي عيسى بن هشام ، فيلخص الإسكندري حاله في هذه الأبيات :

أدعو إلى الله فهل من مُجيب ∴ إلى ذرى أرحب ومرعى خصيب

وجنة عالية ماتني ∴ قطوفها دانية ما تغيب

يا قوم إني رجل تائب ∴ من بلد الكفر وأمري عجيب "[٢]

٤- الفكاهة :

الفكاهة من أغراض المقامة التي تنشأ غالبا من الخرافات والتأويلات ، ومثال على ذلك حكاية لحارث بن همام في المقامة العشرين حيث يحكي عن أبي زيد السروجي الذي قام أمام الجماعة يخبرهم عن رجل شجاع معروف بالإقدام ، ثم تغير حاله بعد المرض ومات بعد ذلك وليس عنده ما يكفي لدفنه .

---

(١) عوض يوسف نور ، فن المقامات ، بين المشرق والمغرب ، مكتبة الطالب الجامعي ، ط ٢ ، ١٩٨٦ م ص ١١٣.

(٢) عبد الحميد ، محيي الدين : مقامات بديع الزمان الهمذاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د . ت ص ٨٧.

ويدعو أبو زيد السروجي هذه الجماعة إلى القيام بالأعمال الخيرية سترا لأخيه الميت وأظهر الحزن والألم حتى يترقرق دمعه ، وأخذ من الجماعة تبرعات كثيرة ، فلما رآه حارث بن همام وعرف أنه أبو زيد السروجي الكذاب ، تعجب من ذكائه وفصاحته فخلع خاتمه حتى قال :

" وقلت أرصده لنفقة المأتم ، فقال : واها لك فما أضرم شعلتك وأكرم فعلتك ، ثم انطلق يسعى قدما ويهرول هرولته قدما .

فنزعت إلى عرفان ميته وامتحان دعوى حميته ... ثم عدت إلى أصحابي عود الرائد الذي لا يكذب أهله ؛ ولا يبرقش قوله ، فأخبرتهم بالذي رأيت ، وما ورت ، ولا رأيت ، فقهقه من كيت وكيت ، ولعنوا ذلك الميت "[١] .

تتميز مقامات بديع الزمان الهمذاني بالفكاهة التي لا تفارق كثيرا من مقاماته، بحيث جعل منها صورا أدبية متفرقة تُبهِج القارئ وتُنمي ثقافته في العلوم المُختلفة .

" وهو حسن الفكاهة جدا في المقامة المغيرية التي وصف فيها أبو الفتح ضيفه الثرثار، والحلوانية التي يصف فيها اختلاف رجلين في الحمام على أجرة عيسى بن هشام والحلاق المجنون، والأصفهانية التي وصف فيها الإمام الذي يُطيل الصلاة "[٢] .

وتُعد هذه المقامات تُحفة أدبية رائعة بأسلوبها ومضمونها، فهي تدعو إلى الصدق والشهامة ومكارم الأخلاق، التي أراد بديع الزمان إظهار قيمتها بوصف ما يُناقِضها عن طريق الفكاهة .

---

(١) صدقي ، محمد جميل : شرح مقامات الحريري ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ص ٢٠٨.

(٢) عزام : عبد الوهاب ، بديع الزمان الهمذاني ، مجلة الرسالة ، العدد ٤٦ ، ، ١٩٣٤م، ص٤.

ومن أمثلة المقامات التي تظهر فيها المُتعة والفائدة: المقامة المضيرية ، فيُحدثنا بديع الزمان نقلا عن مُحدثه الوهمي عيسى بن هشام، أنه كان مع أبي الفتح الإسكندري رجل الفصاحة في البصرة في وليمة وقد قدم فيها مضيرة ــ وهي نوع من الطعام ــ مكون من اللحم واللبن الحامض مع التوابل، يصفها بأنها شهية ، قد أعدت جيدا بطريقة تتشوق النُفوس إلى أكلها فإذا بأبي الفتح يذمها ويشتمها أمام الحضور، فتبادر للناس في بداية الأمر أنه يمزح، ولكن تبين أنه كان جادًّا في ذلك، فلما سُئل عن سبب شتمها قال :

" دعاني بعض التجار إلى مضيرة وأنا ببغداد ولزمني ملازمة الغريم . والكلب لأصحاب الرقيم . إلى أن أجبته إليها وقمنا فجعل طول الطريق يثني على زوجته . ويفديها بمهجته . ويصف حذقها في صنعتها وتأنقها في طبخها "[١] .

وتبين من قصته مع التاجر أن التاجر عرّف جميع ما في بيته لأبي الفتح مبتدأً بقصة شرائه للمنزل إلى المنديل الذي يستخدم في تنشيف الأيدي بعد غسيلها ، حتى أصبحت هذه المضيرة بغيضة لأبي الفتح بسبب ما يعانيه من هذا التاجر الذي تبين لاحقا أن لديه الكثير من الكلام في وصف متاعه وأنه لا يمل من هذه الطريقة في التعامل مع الضيف ، ثم يكمل فيقول:

" يا غلام الخوان فقد طال الزمان . فقد طال الزمان . والقصاع . فقد طال المصاع . والطعام . فقد كثر الكلام .فأتى الغلام بالخوان . وقلبه التاجر على المكان ، ونقره بالبنان . وعجمه بالأسنان . وقال : عمر الله بغداد فما أجود متاعها . وأظرف صناعها "[٢] .

---

(١) عبده : محمد ، مقامات بديع الزمان الهمذاني ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،٢٠٠٢ م ، ص ١٢٤

(٢) المرجع السابق ص١٣٤ .

وفي المقامة الحلوانية تبدو الفكاهة واضحة حيث إن عيسى بن هشام يروي أنه نزل حلوان ، و دخل إحدى حماماتها فجاء اثنان اختلفا على غسل رأسه، وكل يدعي لنفسه أنه أولى به، لكي يفوز بالأجر، إلى أن وصل الأمر بهما أن يتبادلا الصفع واللكم أمام صاحب المحل، ليحتكما إليه، وهنا تظهر المفارقة حين يطلب صاحب الحمام من عيسى بن هشام أن يشهد بالحق لمن هذه الرأس، فهذه المقامة تحمل نوعان من الفكاهة، كيف أن اثنين يتنازعان على ملكية رأس إنسان.

كما ظهرت الفكاهة عند عائض القرني في المقامة الجامعية يقول: " كنت أدرس في أبها، والعلم عندي من الشهد أشهى، أسير في الحارة، من البيت إلى المنارة، وقليلا ما أركب السيارة. كانت الكتب أغلى عندي من الذهب ، فإذا تفردتُ بكتاب، نسيت الأصحاب والأحباب . كنت أصلي الفجر، ثم أجلس في مصلاي لطلب الأجر، فإذا داعبني النعاس، قلت: لا مساس، فإذا غدا الطير من وكره وطار، وقضيت وجبة الإفطار، ذهبت إلى الكلية ، ونست الدنيا بالكلية"(١) .

وتبين هذه المقامة روح الفكاهة عند القرني ، فهو يتحدث عن دراسته في أبها وحرصه على طلب ، و عندما يذهب إلى الكلية ينسى الدنيا وينشغل في دراسته وفي مقابلة أصحابه هناك .

ويقول في المقامة ذاتها:

"ومرة ذهبنا في رحلة برية، فجعلوني رائد السرية، فا نذهل مني المدرب وتعجب، فاستغرب وتعذب، فلم أظهر له أنني عنيد، بل جعلت نفسي كأنني أبله عتيد، فإن صاح فينا : استعد، استرحت، وإن قال : استرح استعددت، وإذا قال : إلى الأمام سر، رجعت إلى الورى، وإذا قال إلى الخلف در مشيت إلى الأمام، وإذا

(١) القرني: عائض، ط ٦، الرياض، مكتبة العبيكان، ٢٠٠٨م، ص٢٢٣.

طلب منا العد بالأرقام، قفزت عشرين رقما للأمام، فإن كان رقمي عشرة، قلت: ثلاثون، والناس يضحكون، والكل مرتاحون، إلا المدرب فقد جف ريقه، وظهر حريقه"[١] .

وتظهر الفكاهة واضحة من خلال الهزل والترفيه و حديثه مع المدرب والطريقة التي استخدمها في تنفيذ تعليماته .

" أما المقرر فلم أذاكره إلا وقت الامتحان، لأنني أقل من أن يُسرف له الزمان، وفترة الجامعة، كانت أخصب فترة عندي لحضور المخيمات والرحلات والأمسيات، ونظم المقطوعات والأرجوزات، وما تأثرت في تلك الأيام، بأستاذ ولا شيخ ولا إمام، كتأثري بزميلين، ماجدين، عابدين، صادقين".٤

قصد القرني بفكاهته في هذه المقامة إلى تقويم النفس وتهذيبها، و إلى الهزل والترفيه في نفس الوقت ، ويدل ذلك على ذكائه ويقظة ذهنه وسرعة خاطره ،

فالمقامة الجامعية أمواج متلاطمة تدفع في نفس الإنسان السرور والبهجة وتزيل عنه الملل والتعب بما فيها من المزاح المباح ،والألغاز والأساليب النقدية غير المباشرة .

٥- الألغاز:

هي أسلوب أدبي يظهر فيها الأديب براعته وبلاغته في التعبير ، واستخدمها بديع الزمان في غاياته التعليمية كما في المقامة الشعرية ، وموضوعها أن عيسى بن هشام كان في رفقة من أصدقائه في بلاد الشام يتذاكرون الشعر ، فإذا بفتى يستمع إليهم وقد أثار ضجرهم فأبعدوه عنهم ثم عاد

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢٦.

٤ نفسه ص٢٢٧ .

إليهم وطلب منهم أن يسألوه في المعميات فانهالت عليه الأسئلة وهو يجيب ،ثم سألهم فقال :

" عرفوني أي بيت شطره يرفع ويدفع وأي بيت كله يصفح وأي بيت نصفه يغضب ونصفه يلعب وأي بيت عروضه يحارب وضربه يقارب ... وهلمجرا"(١) .

(١) عبد الحميد ، محيي الدين : مقامات بديع الزمان الهمذاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ص٢٢٣.

المبحث الثاني:

رواد فن المقامات في الأدب العربي

رواد فن المقامات فحول من الأدباء الذين أفادوا الدنيا بما أوتوا من الذخائر الأدبية وفصاحة اللسان وتوقد الذكاء، وأحيوا اللغة وبعثوها من مرقدها ، وتركوا للعالم تراثا أدبيا أفاد الأجيال اللاحقة من عشاق اللغة والأدب ، وهناك عدد كبير من هؤلاء الرواد ، نذكر من بينهم :

١- بديع الزمان الهمذاني .

٢- الحريري

٣- الزمخشري

٤- اليازجي

٥- عائض القرني

أولا- بديع الزمان الهمذاني :

هو أبو الفضل أحمد بن الحسين ، ويُعرف باسم بديع الزمان الهمذاني ، وأول من اخترع فن المقامات واشتهر بها .

" أصله من همذان وإليه يُنسب ، وقد تركها عام ٣٨٠ هـ وعمره نحو اثنين وعشرين سنة ، ويظهر أنه لم يكن معجبا بها ، فقد جاء في إحدى رسائله لأستاذه أحمد بن فارس اللغوي المعروف الذي " أخذ عنه جميع ما عنده واستنفذ علمه " قوله :

لا تلمني على ركاكة عقلي ∴ إن تيقنت أنني همذاني "[١] .

ويُخبرنا الثعالبي أن مولد بديع الزمان كان في همذان ولا يُحدد موعدا لتاريخ ميلاده غير أنه يُخبرنا أن "تاريخ وفاته كان في سنة ثمان وتسعين وثلثمائة "[٢] .

وأنه اقترب في تلك السنة من الأربعين مما يدل على أن ميلاده كان في بداية النصف الثاني من القرن الرابع .

هاجر الهمذاني من بلده همذان سنة ثمانين وثلثمائة ، أي بعد أن بلغ الثلاثين من عمره ، وانتقل إلى نيسابور لكنه لم يستمر طويلا في نيسابور ، ورحل عنها متجولا في خراسان وسجستان، وغزنة وماحواليها .

ويقول الثعالبي : إنه " لم يبق من بلدة في هذه الأنحاء إلا دخلها وجنى ثمرتها ، واستفاد خيرها وميرتها ، ولا ملك ولا أمير ولا وزير ولا رئيس إلا استمطر بنوئه ، وسرى في ضوئه ، ففاز برغائب النعم ، وحصل غرائب القِسَم ، وألقى عصاه بهراة واتخذها دار قراره ، ومجمع أسبابه ، واقتنى ضياعا فاخرة ، وعاش عيشة راضية ، وحين بلغ أشده وأربى على الأربعين ناداه الله فلباه ، وفارق دنياه سنة ٣٩٨ هـ "[٣] .

اشتهر بديع الزمان الهمذاني بحافظة قوية وعُرف بسرعة ارتجاله ، وكان يعرف الفارسية ويترجم بعض أشعارها إلى العربية .

---

(١) ضيف ، شوقي ،: الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف ، مصر،١٩٦٠ ص٢٣٨

(٢) الثعالبي : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، الجزء الرابع ،ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٩٧٩م ، ص ٢٥٨.

(٣) انظر المرجع السابق ص ٢٤٢.

يقول صاحب اليتيمية : " إنه كان صاحب عجاب وبدائع وغرائب ، فمنها أنه كان يُنشد القصيدة التي لم يسمعها قط وهي أكثر من خمسين بيتا ، فيحفظها كلها ، ويؤديها من أولها إلى آخرها ، لا يخرم حرفا ، ولا يخل بمعنى ، وينظر في الأربعة والخمسة أوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ، ثم يهذُّها عن ظهر قلب هذًّا ، ويسردها سردا "[١] .

وليس هناك كاتب في القرن الرابع الهجري نال من التمجيد والثناء ما ناله بديع الزمان ، وحتى اسمه لا يعرفه وإنما يعرفونه بلقبه الذي أطلقه عليه معاصروه ، فقد كان من أكبر أدباء عصره ، ولكنه لم يكن يحسن أساليب الوصول إلى مآربه فما أغناه أدبه شيئا وضاقت به الحياة حتى تسول في الأسواق ذلك في الوقت الذي كان يرى فيه غيره يحسنون أساليب الوصول وحيله فآثر أن يصورهم في مقاماته التي لا تمثل – في الحقيقة – واقعه المفروض عليه فحسب ، بل تمثل واقعا حيًّا في بيئته لم يقدر على معايشته .

وبلغت مقاماته إحدى وخمسين مقامة ، وفيها تدور المحاورة بين شخصين سُمِّي أحدهما عيسى بن هشام ولآخر أبا الفتح الإسكندري ، وجعل الأولى الراوي والثاني البطل المغامر.

فأبو الفتح الإسكندري يمثل قدرة البديع الفائقة على الارتجال وسرعة البديهة ، فهو محتال يجيد أساليب العصر وفنونه .

" وبالرغم من أن بديع الزمان أخفق في أن يسلك سلوك أبي الفتح في واقع الحياة فقد كان يحمل في ذاته تقديرا عميقا لأنموذج أبي الفتح الإسكندري الذي ملأه بسرور عظيم حين كشف له عن جهل الناس وحمقهم واحتفائهم

---

(١) ضيف ، شوقي ، الفن ومذاهبه ، في النثر العربي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٠ م ،ص ٢٣٩.

بالسطحيات من أمور الحياة ، وتجلى هذا التقدير بوضوح في درجة الإتقان التي بلغها في رسم صورة الإسكندري"[١] .

ويؤكد بروكلمان على أن بديع الزمان الهمذاني أول من أنشأ فن المقامة فيقول : " إن هذا الفن انتقل بفضل بديع الزمان إلى اللغة الفارسية ، وأن أول من عرف من مقامي الفرس هو القاضي حميد الدين ، وقد دخلت المقامات إلى العربية عن طريق الترجمة التي قام بها شلومو الحريزي لمقامات الحريري"[٢] .

ويقول عنه الدكتور عائض القرني :

" بديع الزمان الهمذاني المتوفى عام (٣٩٨ هـ) هو أول من ابتدع المقامات ، فعرف بها وعرفت به ، وقد لقيت انتشارا كبيرا وترحيبا عظيما ، طارت في الآفاق ، واشتهرت في الأرجاء ، لما فيها من جدة وطرافة ، وطرفة وملاحة ، وعذوبة وسلاسة ، ولما فيها من بث مباشر ، ونقل حي لكثير من الصور الاجتماعية والأحداث الجياشة ، ولما حوته من النقد ... ثم هي مع ذلك ثروة لغوية ، وكنوز بيانية ، وقدرات بلاغية "[٣] .

ومن خلال ما سبق نتبين أن بديع الزمان الهمذاني هو الذي مهد الطريق الذي سلك عليه الفحول من الأدباء المتقدمين والمتأخرين في هذا الفن .

وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على سبقه وتفوقه في هذا الميدان .

---

(١) عوض ، يوسف نور : فن المقامات بين المشرق والمغرب ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، ١٩٨٦ م ، ص ٥٦.

(٢) نفسه ، ص ١٤ .

(٣) القرني ، عائض : مقامات القرني ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ٢٠٠٨ م ، ص ١٥ .

ثانيا- الحريري :

هو القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري ، وُلد بضاحية من ضواحي البصرة تسمى المشان عام ٤٤٦ هـ ، ولما شب غادرها وذهب إلى البصرة .

" وكان الحريري يسكن في البصرة بمحلة بني حرام ، وكان قبيحا دميم الخلقة قذرا في لبسته وهيئته مبتلى بنتف لحيته "(١) .

وربما كان هذا الفتح هو الذي ولّدفيه ميله إلى الدعابة في أعماله وآثاره ، وكان الحريري يتميز بشدة ذكائه.

" وكان مما خفف قبح الحريري أنه كان ذكيا ذكاء شديدا ، ويقول العماد الأصبهاني : طلعت ذكاء ذكائه في المغرب والمشرق ، وامتلأ ببضائع فوائده ، ونواصع فرائده حقائب المُشم والمُعْرق "(٢) .

ويُعتبر الحريري أهم كاتب ظهر في المشرق بعد أبي العلاء ، وقد نال شهرة كبيرة في عصره وبعد عصره لما كان يقوم به من عناية بمؤلفاته ، واستحوذ على إعجاب معاصريه بطرفته الغريبة في كتاباته .

" واستغل هذا الذكاء في جانبين ، أما الجانب الأول فلأدب شعره ونثره ، وقد ترك في هذا الجانب مجموعة من الشعر ، كما ترك مجموعة من الرسائل ، وأيضا فإنه ترك أهم مجموعة ألفت في المقامات ، وأما الجانب الثاني فهو جانب التأليف في النحو ، إذ نراه يترك – كما يقول ياقوت – كتاب " ملحة الإعراب "،

(١) الحموي ، ياقوت : معجم الأدباء ، الجزء ١٦ ،، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٣٠م، ص ٢٦٢.
(٢) ضيف ، شوقي : الفن ومذاهبه في النثر العربي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٠ م ، ص ٢٩٣ .

وهي قصيدة في النحو ، كما يترك كتاب شرح ملحة الإعراب ، وأيضا فله كتاب " درة الغواص في أوهام الخواص "[١] .

ويقول ياقوت عنه في معجم الأدباء :

" كان الحريري من أعيان دهره وفريد عصره وممن لحق طبقة الأوائل وغير عليهم في الفضائل "[٢] .

وتعد مقامات الحريري أهم نموذج أدبي ظهر في العصر العباسي بعد نماذج أبي العلاء ، وقد أخذ الناس يشيدون بها منذ ظهورها ، وقد اشتهرت تلك المقامات أكثر من شهرة مقامات بديع الزمان لما حوت من الغريب في اللفظ والتنويع في الشواهد ، وكانت تدرس في أماكن الدرس ، وتلقن في جامعة الأندلس ، وكان من يتقنها يجيزه أساتذته .

ولم يقف الأمر بمقامات الحريري بانتشارها عند العرب وحدهم بل ترجمت إلى اللغة الأجنبية مثل الإنجليزية والفرنسية والألمانية .

" نقف أمام أعظم الآثار المقامية بعد مقامات بديع الزمان الهمذاني ، تلك هي مقامات الحريري التي كسبت شهرة واسعة طغت بها على مقامات الهمذاني نفسه بل وأصبحت نقطة انطلاق لسيل عارم من الفن المقامي حاول كل كاتب فيه أن يبلغ شأو الحريري أو يترسم خطاه ؛ فما إن كتب الحريري مقاماته حتى عكف الأدباء على روايتها وتعليمها في بلاد المشرق والمغرب "[٣] .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٩٣

(٢) الحموي ، ياقوت : معجم الأدباء ، الجزء ١٦ ، ص ٢٦٢.

(٣) عوض ، يوسف نور ، فن المقامات بين المشرق والمغرب ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، ١٩٨٦ م ، ص ١٦٧.

وتبلغ مقامات الحريري خمسين مقامة عارض بها مقامات الهمذاني ، وجعل بطلها أبا زيد السروجي وراويتها الحارث بن همام ، وسار بها سيرا متسلسلا في صورة بيانية لغوية بارعة .

" يميل الحريري في مقاماته إلى مجاراة عقلية العصر التي مالت إلى التعقيد الشديد وإظهار البراعة عن طريق هذا التعقيد نفسه وهن طريق الإغراب اللفظي، والإغراق في استعمال الألغاز والأحاجي ، والتضمين للأبيات الشعرية والأمثال السائرة وما إلى ذلك .

هذا كان هدف الحريري ، فراح يسبك عباراته سبكا في روعة فريدة ، ويضمنها ضروبا من الألاعيب اللغوية والبيانية ، ويتصرف بأساليب السجع تصرفا فريدا ، هذا والحريري أبدا متين السبك ، شديد الضبط للألفاظ ، شديد الدقة في استعمالها"[١] .

وتختلف مقامات الحريري عن مقامات بديع الزمان الهمذاني في أنها كتبت في ظلال مذهب التصنع وعقده ، بينما كتبت مقامات البديع في ظلال مذهب التصنيع والزخرفة ، ولكن الحريري مقاماته في صورة جديدة هي صورة مذهب التصنع وما يمتاز به من تصعيب الأداء .

(١) القرني ، عائض ، مقامات القرني ، ص ١٦.

ثالثا- الزمخشري

هو أبو القاسم الزمخشري محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي النحوي اللغوي المعتزلي ، " وأنه عاش إحدى وسبعين سنة أي أن مولده كان سنة ٤٦٧هـ ، وكانت وفاته سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة "[١] .

ومن أهم مؤلفاته الكشاف في تفسير القرآن ، وأساس البلاغة ، وربيع الأبرار ، ونصوص الأخيار ...وغيرها ، وكان قد جاور بمكة زمنا فسمى بذلك جار الله .

كتب الزمخشري خمسين مقامة ، واقتصرت هذه المقامات على الوعظ والنصح الديني الداعي إلى إصلاح النفس والزهد في الحياة والتوجه لعمل الخير ،كما اعتني فيها بأسلوب الصنعة البلاغية ، ولم ينسج مقاماته على غرار من سبقه من المقاميين " فهو لم ينسج على منوال المقامة البديعية ، ولم يستخدم ديباجتها ، والسبب في ذلك هو أن جلال الموضوع الذي عالجه لم يترك له مجالا للهزل . وعلى الرغم من ظهور الوعظ في مقاماته فقد كان وعظا جادا وليس من ذلك النوع الذي هدف به أبو الفتح الاسكندري إلى إظهار البراعة أو التوسل من أجل الكدية "[٢]

كانت مواعظ الزمخشري مباشرة في أسلوبها وتقريرية في طريقتها ، ولننظر في مقامة " المراشد "كنموذج يوضح لنا هذا اللون من المقامات التي صاغها الزمخشري ،فيقول موجها الكلام إلى نفسه : " يا أبا القاسم إن خصال الخير كتفاح لبنان كيفما قلبتها دعتك إلى نفسها وإن خصال السوء كحسك

(١) عوض، يوسف نور : فن المقامات بين الشرق والغرب ، ص١٩١ .
(٢) نفسه ص١٩٣.

السعدان أنى وجهتها نهتك عن مسها فعليك بالخير إن أردت الرفول في مطـــارف العز الأقعس"[١] .

لم تلتزم تلك المقامات بالديباجة المقامية المعروفة ، إذ اقتصر الزمخشري فيها على توجيه النصائح لنفسه بطريقة مباشرة على أن تكون بعد ذلـــك منـــارة تهدي مقتبسيها في باب العلم والتقوى والأدب

رابعاً- اليازجي

ولد ناصف اليازجي سنة ١٨٠٠ م وكان أبوه طبيبا يقيم بكفر شيما فـــي لبنان بالقرب من بيروت .

ويقول عيس سابا : " الشيخ ناصيف بن عبدالله بـــن ناصـــيف اليـــازجي الحوراني الأصل والحمصي المنزح واللبناني الموطن والمولد . وُلد في كفر شيما " لبنان " جنوبي مدينة بيروت سنة ١٨٠٠م ، وكان أبوه طبيبا على مذهب ابـــن سينا يميل إلى العلم وتذوق الأدب ، فبث في فؤاد ولده حبهما وحمله على الدرس ، ولما أتقن القراءة ، وأصبح يستوعب ما يقرأ ، انقطع إلى الـــدرس والمطالعـــة على نفسه برغم قلة الكتب المطبوعة ، وندرة المخطوط منها "[٢] .

كان ناصيف اليازجي متوقد الذكاء ، ونابغا في الشعر ، وكتب قصيدة في مدح الوالي الأمير بشير الشهابي ، وألقاها بين يديه فأعجب بها ، ولم تمـــض إلا سنوات قليلة حتى ألحقه بديوانه ، ثم نزل الشيخ إلى بيروت وانتدبته المـــدارس المختلفة للعمل بها ، ولقي شهرة عالية في بيروت .

---

(١) الزمخشري ، مقامات الزمخشري ، ص١٣.

(٢) سابا ،عيسى :مقدمة كتاب " مجمع البحرين "للشيخ ناصيف اليازجي ،دار صادر ، بيـــروت ،ص٣٤ .

تمتع اليازجي بثقافة علمية وأدبية واسعة ، فمن مؤلفاته في النحو مختصر أسماه " طوق الحمامة " وله مجموعة من الأراجيز مثل " اللباب في أصول الإعراب " و " الخزانة " و" لمحة الطرف في أصول الصرف " .

كتب اليازجي ستين مقامة جمعها في كتاب بعنوان (مجمع البحرين) وسار فيها على نهج مقامات الحريري ، وكان ذلك نهجا عاما في الآداب والفنون في حركة التنشيط الأدبي الحديث ، وأول ما عمد إليه الكتاب والمؤلفون في هذه الحركة هو تقليد أو كتابة نماذج شبيهة بالنماذج الكلاسيكية ، ولعلهم لم يقصدوا في هذه المرحلة إلى التجديد والابتكار بقدر ما قصدوا شحذ الأقلام وتعويدها على الكتابة بأسلوب جيد وبليغ .

ويقول ناصيف اليازجي : " إنني قد تطفلت على مقام أهل الأدب من أئمة العرب بتلفيق أحاديث تقتصر من شبه مقاماتهم على اللقب ونسبت وقائعها إلى ميمون بن خزام وروايتها إلى سهيل بن عباد وكلاهما هو ابن أب مجهول النسبة والبلاد وقد تحريت أن أجمع فيها ما استطعت من الفوائد والقواعد والغرائب والشوارد والأمثال والحكم والقصص التي يجري بها القلم وتسعى لها القدم "[١] .

فمقاماته ذات مواضيع مختلفة منوعة كمقامات الحريري ، فالمقامة عنده لها راوٍ هو سهيل بن عباد ولها بطل هو ميمون بن خزام .أما الراوي فهو رجل مغترب وفي رحلة الاغتراب يلتقي بالبطل في حدث من الأحداث ،أما البطل فهو متسول بارع في الفصاحة والأدب .

وكان الشيخ ناصيف اليازجي متواضعا غاية التواضع ، وكانت مقاماته " تعتبر بحق دائرة معارف لغوية وتعبيرية كبيرة ، وليس هنالك من ينكر أن هذه

(١) اليازجي ، ناصف : مجمع البحرين ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، ص١٦٩ .

المقامات كانت معلما بارزا وهاما في حركة التنشيط اللغوي والأدبي في منتصف القرن التاسع عشر "[١] .

ونخلص إلى أن مقامات اليازجي كانت قوية في مبناها ، وسارت على المنهج الكلاسيكي ، واتبع صاحبها نهج الحريري في موضوعاته على الرغم من أنه انفرد في بعض الأحيان بتركيباته الخاصة .

خامسا- عائض القرني

وقد تم الحديث عنه مسبقا في التمهيد .

(١) عوض ، يوسف نور : فن المقامات بين المشرق والمغرب ،مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، ط٢ ،١٩٨٦ م ،ص٣٥٣ .

المبحث الثالث :

آليات التشكيل الفني في مقامات كلٍ من

"بديع الزمان الهمذاني" و"عائض القرني"

أولاً: عتبات النص

يُعد العنوان المدخل الرئيس لأية قراءة ،لأنه يمثل حلقة وصل بين المتلقي والنص لما يقدمه من وظائف إدراكية . وساهمت عناوين المقامات عند كلٍ من الهمذاني وعائض القرني في إبراز الموضوع الرئيس أو الفكرة التي يدور حولها.

ولكل مقامة من مقامات بديع الزمان اسم اشتقه لها من مكان المقامة الذي حدثت فيه ،أو الذي قصد إليه أو جاء منه ، أو نسبه إلى زمن حدوث المقامة من ناحية زمن السرد الداخلي ، أو من ناحية موضوعها .

فهناك مقامات بأسماء المدن والأماكن والأطعمة والحيوانات، ونسب بعضها إلى الملوك،و ابتدأها بالمقامة القريضية، واختتمها بالمقامة البشرية.

ومن المقامات التي سماها الهمذاني بأسماء البلدان:

المقامة البغدادية، والمقامة العراقية، والمقامة النيسابورية، والمقامة البصرية، والمقامة الدمشقية ... وغيرها.

ويتشابه القرني معه في تسمية بعض المقامات بأسماء البلدان مثل:

(المقامة المكية، والمقامة النجدية، والمقامة الدمشقية، والمقامة البغدادية، والمقامة المصرية، والمقامة الفلسطينية، والمقامة الأمريكية، والمقامة الأندلسية ... وغيرها).

ويغلب على مقامات بديع الزمان الهمذاني المتعة الفنية والقدرة البيانية، وعلى الرغم من أن موضوعها الأساسي هو الكُدْيَة والاستجداء والاستعطاف – وقد دلت عناوين بعض المقامات على ذلك– فإنها تحمل كثيرا من النصائح والمواعظ ، ولم يكن الهمذاني ليغفل الاهتمام بتلك الظاهرة في المجتمع الإسلامي ذلك أن كثيرا من الإصلاح تم تحقيقه من خلالها، وظهر ذلك من خلال عناوين بعض المقامات مثل: المقامة الوعظية .

و بدأ القرني مقاماته بالإهداء وعنوان المؤلف، و قد صاغهما شعراً حيث يبدأ العنوان بقوله :

أنا الحجاز، أنا نجد، أنا يمن ∴ أنا الجنوب، بها دمي وأشجاني

و يختم بقوله:

فأينما ذُكر اسم الله في بلدٍ ∴ عددتُ ذلك الحمى من صلب أوْطاني

وبلغ عدد مقامات عائض القرني سبع وستون مقامة، قُسِّمت باعتبار موضوعاتها وأغراضها إلى أربعة أقسام:

- المقامات العقائدية.
- المقامات الكونية.
- المقامات العلمية.
- المقامات الأدبية.

وتضم كلٍ منها مجموعة من المقامات التي تتفق معها في الموضوع ، وفي بداية هذه المقامات تقديم بيد الدكتور ناصر بن مسفر الزهراني، وهو صديق حميم لعائض القرني، وبين فيه خصائص المقامة الفنية، وعبقرية عائض القرني وثقافته العلمية، وطبيعته الموسوعية.

" مقامات القرني مقارنة بالمقامات السابقة مثلها مثل فاكهة الجنة ليس فيها مما في الدنيا إلا الأسماء ، وكذلك المقامات القرنية ، ليس فيها من المقامات السالفة إلا الموافقة في الاسم ، والمشابهة في الرسم ، والمماثلة في الشكل ، وليس هذا غضنا من شأن المقامات السابقة فإن فيها من القدرات اللغوية ، والقدرة البيانية ما يثير العجب ، ويبعث الطرب ، إضافة إلى ما حوته من قصص جميلة ، وأخبار بديعة ، ومعارف قيمة ، ونصائح خالدة ، ولكن مقامات القرني خرجت عن السياق ، واختلفت في المذاق ، فجاءت مناسبة لعصرها ، ملائمة لوقتها "(١)

و يتفق عائض القرني وبديع الزمان الهمذاني في عناوين بعض المقامات مثل:

(المقامة الوعظية، والمقامة العلمية، والمقامة البغدادية).

ثانياً: المحسنات البديعية

أهم ما يميز مقامات بديع الزمان الهمذاني – إضافة إلى قيمتها الفنية – اهتمامه بالمحسنات البديعية ، فكان مهتما ببناء صورته البيانية، وساعده على ذلك قدرته اللغوية وثقافته الواسعة .

إن مقامات بديع الزمان كانت نصا مزخرفا بكافة أنواع البيان والبديع، وكان السجع من أكثر الأنماط البلاغية استخداما في مقامات الهمذاني، لأن مدرسة السجع كانت مدرسة رسمية في ذلك الوقت، وكان السجع لديه يؤدي وظيفة اجتماعية ووظيفة فنية أيضا.

يقول شوقي ضيف : " ويرى القارئ بجانب ذلك براعة البديع في استخدام السجع، فالكلمات تتشابك بأسلاكه، وكأن صائغا ماهرا يحسن ضم جواهرها

(١) القرني : عائض ،مقامات عائض القرني ، ط٦ ،العبيكان ، الرياض ، ٢٠٠٨م ،ص١٧ .

بعضها إلى بعض، وتكوين عقود منها تأخذ بالأسماع والأبصار، ولا ريب في أن ذلك موهبة يختص بها أو قل: إنه فن لم يرق إليه إلا بعد ثقافة واسعة باللغة، وتدريب شاق على صناعة أساليبها بحيث وقف وقوفا دقيقا على خصائصها الصوتية" (١)

وعلى الرغم من أن بديع الزمان الهمذاني ألزم نفسه بالسجع، فإن ذلك لم يكن عائقا أمامه في اصطياد ما يريد من كلمات ليعبر عما يريد، أي أنه لم يقف حائلا دون الدقة والمرونة والشفافية، يقول بديع الزمان الهمذاني في المقامة البلخية:

"ألم أرك بالعراق، تطوف في الأسواق مكديا بالأوراق؟ " (٢)

وهنا سجع مقرون باتحاد الفاصلة حيث تتكرر الكلمات المنتهية بحرف القاف مثل :(العراق – الأسواق – الأوراق) .

وفي المقامة السجستانية يقول: " واستخرت الله في العزم جعلته أمامي. والحزم جعلته إمامي " .(٣)

وفيها سجع وجناس غير تام بين " أمامي وإمامي" وكذلك جناس غير تام بين "العزم والحزم" ، كما أن عبارة " استخرت الله في العزم" كناية عن التصميم على العمل، وهنا تظهر صنعة الكاتب وإجادته في استخدام الألوان البديعية والبيانية.

---

(١) ضيف، شوقي، المقامة، ص٤٢

(٢) الهمذاني : بديع الزمان ، قدمه الشيخ محمد عبده ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط١ ، ٢٠٠٢ م ، ص ٢١ .

(٣) نفسه ص ٢٢ .

وكان بديع الزمان الهمذاني يسرف أحيانا في استعمال مفردات اللغة ليحقق السجع والمزاوجة، ويصر في بعض الأحيان على أن يستعرض مهارته اللغوية وقدرته على توظيف هذه المهارة في صياغة ألوان من المحسنات البديعية ذات الجرس القوي ، ولكن من دون أن يفقد التواصل مع القارئ ،أو أن يتراخى في حرارة التعبير وصدق التجربة، وعلى الرغم من ذلك يبدو التصنع والتكلف في مقاماته ،وذلك مثل قوله في المقامة البغدادية :

" اشتهيت الأزاذ، وأنا ببغداذ. وليس معي عقد .على نقد "[١]

وكان الجناس من الأبواب التي استخدمها بديع الزمان الهمذاني بكثرة ، بنوعيه التام والناقص، وقد أكثر من استخدام الجناس الناقص، كما في المقامة القريضية :

" قلنا فما تقول في جريروالفرزدق وأيهما أسبق؟، فقال: جريرأرق شعرا .وأغزر غزرًا. والفرزدق أمتن صخرا. وأكثر فخرا. وجرير أوجع هجوًا .وأشرف يوما ،والفرزدق أكثر روما. وأكرم قوما".[٢]

وكان بديع الزمان الهمذاني مغرمًا بالمقابلة والطباق إلى حد بعيد، كما في قوله في المقامة القزوينية "مؤثرا ديني على دنياي، جامعا – يمناي إلى يسراي. واصلا سيْري بسراي " [٣]

ومن أمثلة الإطناب في مقاماته ما ورد في" المقامة العلمية: التي نجد في أولها إطنابًا- وهو زيادة اللفظ عن المعنى – كما ورد في قول الإسكندري يسأل بم أدركت العلم ، فيقول:

---

(١) المرجع السابق ص٧١ .
(٢) نفسه ص٩.
(٣) نفسه ص١٠٦.

" طلبته فوجدته بعيد المرام ،لا يصطاد بالسهام، ولا يقسم بالأزلام ،ولا يرى في المنام ،ولا يضبط باللجام ولا يورث عن الأعمام ، ولا يستعار من الكرام"(١)

وفي هذا القول إطناب يبعد بالمجيب عن إجابته الواضحة المباشرة.

و بالرغم من أن مقامات عائض القرني موضوعها الأساسي هو الدعوة والنصح والإرشاد فإنها تميزت بالمتعة الفنية والحلية البيانية، ويشبه القرني الهمذاني في استخدام بعض العناصر البديعية ومثال ذلك السجع كما ورد في المقامة الجامعية:

"وكان زملائي أهل جد وجلد، والكل منهم مثابر مجتهد" (٢)

وقوله في المقامة ذاتها :

"وأربعة من اليمن، تشتري صحبتهم بأغلى ثمن، وأعدها علي من أحسن المنن" (٣)

والسجع واضح في هذه الأمثلة، فجميع الفقرات مختومة بنوع واحد من الحروف وهو حرف النون .

كما تظهر براعة السجع : فالكلمات تتشابك وكأن صائغا ماهرا يحسن ضم بعضها إلى بعض، وكل ذلك يدل على ثقافته الواسعة باللغة وقدرته على صناعة أساليبها.

والقرني أكثر ميلا إلى استخدام الجناس في مقاماته ، وقد أكثر من استعمال الجناس الناقص.

---

(١) نفسه ص ٢٣٠.
(٢) القرني : عائض ،مقامات عائض القرني ، ط٦ ،العبيكان ، الرياض ، ٢٠٠٨م ،ص٢٢٣.
(٣) المرجع السابق ص٢٢٣.

ويلاحظ التشابه بين كلٍ من بديع الزمان الهمذاني وعائض القرني في حرص كلٍ منهما على أن يجمع في كل مقامة من مقاماته طائفة من الأساليب البلاغية المصنعة من السجع والجناس، ويزين ما في مقاماته من العبارات المزينة والمزخرفة.

ومن أمثلة الجناس لدى عائض القرني، ما ورد في المقامة النحوية قوله:

"والعرب لا تبدأ بساكن لأنها تحب التنقل في المساكن".(١)

وهنا جناس ناقص بين(ساكن والمساكن)، لما في الثانية من زيادة حرف وهو حرف الميم في كلمة (المساكن).

وقوله في نفس المقامة :

" والبخاري كان في صحة الكلام لا يُجارى، وهو من بُخارى" (٢)

(فالبخاري وبُخارى) ، بينهما جناس ناقص لما بينهما من اختلاف في المعنى، فالبخاري الأول المقصود به هو الإمام البخاري المعروف، وبُخارى الكلمة الثانية، اسم البلد الذي جاء به الإمام البخاري .

وفي المقامة الجامعية: هناك طباق بين من حضر ومن غاب.

فيقول:

" ومنهم من كان يأخذ ثلث المحاضرة في تحضير الطلاب، من حضر ومن غاب، وربما دلسنا عليه الغياب، وهو لا يدري بدهة الأفارقة والأعراب" (٣)

فلفظ حضر ضد لفظ غاب، وكذلك كلمة الأفارقة ضد كلمة الأعراب.

---

(١) نفسه ص٣٠٩.

(٢) نفسه ص٣١٠ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٢٤.

استطاع عائض القرني في هذه المقامة الجامعية أن يجعل من نماذجه الفنية قمة بلاغية، جمع فيها بين ألوان مختلفة من المحسنات البديعية، ويبدو تأثره ببديع الزمان الهمذاني في مقاماته لأنه يُعبِّر عن صورة المجتمع الذي يعيش فيه من حيث افتخاره به ، لأنها حظيت بالعلماء وبإفاضة الناس إليها من كل مكان لطلب العلم فجاءت هذه المقامة كمرآة تعكس طبيعة الجامعة العالمية من حيث امتزاج الألوان واللغات واللهجات.

ثالثاً: الاقتباس والتضمين

إذا كان الهمذاني يميل إلى الاقتباس والتضمين من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام العرب، فإن القرني حرص على أن تبدأ كل مقامة من مقاماته بآيات من القرآن الكريم وأبيات من الشعر تتناسب مع عنوان المقامة وموضوعها الذي يتحدث عنه ، فعلى سبيل المثال " مقامة التوحيد" تبدأ بقول الله تعالى: " فاعلم أنه لا إله إلا الله " و ضمنها بكثير من الآيات القرآنية كقوله تعالى " لا تحزن إن الله معنا "(١) و قوله تعالى :" و من يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح قي مكان سحيق "(٢) ، و قوله تعالى : " شهد الله أنه لا إله إلا هو و الملائكة و أولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم " (٣) ، و قوله تعالى : " فمن ربكما يا موسى " و قوله تعالى : " ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى " (٤) ، كما اقتبس في مقامة التوحيد على سبيل المثال الحديث القدسي " يا ابن آدم لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم جئتني لا تُشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة "(٥)

أما الهمذاني فقد اعتمد على التناص من القرآن الكريم ، و قلما اقتبس آيات بأكملها كقوله في المقامة الوعظية : ألا و إن الذي بدأ الخلق عليماً، يحيي العظام رميما، وقوله في المقامة الأذربيجانية : " اللهم يا مبدئ الأشياء و معيدها . ومحيي العظام ومبيدها وخالق المصباح ومديره وفالق الإصباح ومنيره. وموصل الآلاء سابغة إلينا . وممسك السماء أن تقع علينا . وبارئ النسم أزواجا

---

(١) سورة التوبة ، (آية ٤٠).
(٢) سورة الحج ،(آية ٣١).
(٣) سورة آل عمران ، (آية ١٨).
(٤) سورة طه ، (آية ٥٠) .
(٥) القرني : عائض ،مقامات عائض القرني ، ط٦ ،العبيكان ، الرياض ، ٢٠٠٨م ، ص٤١ .

وجاعل الشمس سراجاً . والسماء سقفا وأرض فراشاً . وجاعل الليل سكناً والنهار معاشاً . ومنشئ السحاب ثقالاً .ومرسل الصواعق نكالاً "(١)

كما ضمن القرني مقاماته كثيرا من الأشعار كمقامة المتنبي التي بها كثير من أشعار المتنبي كقوله : " لقيت أبا الطيب أحمد بن الحسين ، فقلت له : إلى أين؟

قال : أقصد سيف الدولة في حلب ، فعنده سوق عامرة بالأدب .

فقلت : يا أبا الطيب ، أشعارك كالصيب ، ولي إليك حاجة .

فقال : هات ما عندك بغير لجاجة .

قلت : من أنت ؟

قال:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي ∴ وأسمعت كلماتي من به صممُ

الخيلُ والليلُ والبيداء تعرفني ∴ والسيف والرمح والقِرطاس والقلمُ

قلت : أما ترى السفهاء ، ينالون العظماء ؟

قال :

وإذا أتتك مذمتي من ناقصٍ ∴ فهي الشهادة لي بأني كاملُ

قلت : أراك تعبت في طلبك للمجد ؟

قال :

وإذا كانت النفوس كباراً ∴ تعبت في مرادها الأجسامُ

---

(١) الهمذاني : بديع الزمان ، قدمه الشيخ محمد عبده ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط١ ، ٢٠٠٢ م ، ص ٥٤ .

قلت : أما ترى أن المجد يتعب ؟

قال :

لولا المشقة ساد الناس كلهمُ ∴ الجود يفقر والإقدام قتالُ"[١]

و ضمن الهمذاني أيضا كثيرا من الأشعار كقوله في المقامة الإبليسية :

بان الخليط و لو طوعت ما بانا ∴ وقطعوا من حبال الوصل أقرانا

حتى أتى على القصيدة كلها . فقلت : يا شيخ هذه القصيدة لجرير قد حفظتها الصبيان . وعرفها النسوان . وولجت الأخبية ووردت الأندية .فقال : دعني من هذا وإن كنت تروي لأبي نواس شعرا فأنشدنيه فأنشدته :

لا أندب الدهر ربعا غير مأنوس ∴ ولستُ أصبو إلى الحادين بالعيسِ

أحق منزلةٍ بالهجر منـــزلةٌ ∴ وصل الحبيب عليها غير ملبوسِ

يا ليلةً غبرت ما كان أطيبهـــا ∴ والكوس تعمل في إخواننا الشوسِ

وشادنٍ نطقت بالسحر مُقلتـــه ∴ مزنر حِلف تسبيحٍ وتقديسِ

نازعته الريق والصهباء صافيةً ∴ في زي قاضٍ ونسك الشيخ إبليسِ

لما ثملنا وكل الناس قد ثملـوا ∴ وخفت صرعته إياي بالكوسِ

غطَطت مستنعساً نوماً لأنعسـه ∴ فاستشعرت مقلتاه النوم من كيسي"[٢]

---

(١) القرني : عائض ،مقامات عائض القرني ، ط٦ ،العبيكان ، الرياض ، ٢٠٠٨م ،ص٢٦٧-٢٦٨ .

(٢) الهمذاني : بديع الزمان ، قدمه الشيخ محمد عبده ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط١ ، ٢٠٠٢ م ، ص ٢٠٩-٢١٠ .

ومن الملاحظ تفوق عائض القرني على بديع الزمان الهمذاني من حيث الاقتباس من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، فالهمذاني قلما يستخدم الاقتباس في مقاماته،و إنما يعتمد على التناص بصورة كبيرة ،أما عائض القرني فكل مقاماته تستهل بالاقتباس من القرآن الكريم بدلا من الراوي الذي وجدناه عند بديع الزمان.

رابعاً: التناص

تعددت تعريفات التناص بين النقاد واللغويين،غير أنها كلها تبرز التفاعل والتلاحم بين نص حاضر ونص غائب لخلق نص جديد يحمل دلالات جديدة .

" والحقيقة أن مصطلح (التناص) الحديث تعبير دقيق وموضوعي عن مسألة تأثر المحدث بالقدماء أو المتقدمين ، لأن مفهومه يقوم على فكرة البحث عن ينابيع النص الأولى ، أو بتعبير آخر عن نسب النص وأصوله السابقة " (١)

ويأتي التناص نتيجة طبيعية لكون النص لا يبدأ من فراغ ، وإنما هو " مزيج من القراءات للنصوص المختزنة في ذهن مبدعه بالإضافة إلى الإبداع الذاتي له ، فهو يقرأ قبل أن يكتب ، وحين يكتب يحدث منه – عفوا أو قصدا – أن يحيل بالمعهود على المأثور " . (٢)

ولا شك أن عائضا القرني رجل حاد الذكاء ، يستفيد من كل ما يسمع أو يرى أو يقرأ في حياته ، ويوظفه في نصوصه النثرية أو الشعرية ، واطلع على مقامات سابقيه وحاول أن يفيد منها ، ولم يصرح لنا بمصادر إلهامه في كتابه "

---

(١) بارت : رولان ،دراسات في النص والتناصية ، ترجمة د. محمد خير البقاعي ، مركز الإنماء الحضاري ،حلب ، ١٨٩٨ م ، ص ١٦ .

(٢) القرطاجني : حازم ،منهاج البلغاء و سراج الأدباء ، تحقيق محمد الخواجة ، ط٣ ، بيروت، لبنان ، ١٩٨٦ ،ص ١٨٩ .

مقامات عائض القرني "بيد أننا نجد في تقديم الدكتور ناصر الزهراني لهذه المقامات قوله :

"وهى مقامات علمية ربانية ، إيمانية نورانية ، توقد من شجرة مباركة محمدية ، لا شرقية ولا غربية ، يكاد لفظها يضيء ولو لم تمسسه نار ، فهى قد أخذت كثيرا من سمات المقامات ، والتزين بزينة الوعظ " .(١)

ويبين ذلك أن عائضا القرني قد اطلع على المقامات السابقة له ، وحاول أن يبدع في مقاماته ، ويخرجها بصورة جديدة وفريدة تتناسب وظروف بيئته ومجتمعه وزمنه ، يقول في مقدمة مقاماته:

" فقد سبقني إلى هذا الفن أعلام لهم في الحكمة أقدام ،وفي حومة البيان أعلام ، وفي طروس الفصاحة أقلام ، فمنهم من خص بمقاماته الأدب ، وثان في ذكر من ذهب ، وثالث في الحب ، ورابع في الطب "(٢)

وبالنظر إلى مقامات كل من عائض القرني وبديع الزمان الهمذاني تبين أن القرني تأثر ببديع الزمان في بعض الموضوعات.

" إن منتج النص لا يكتب تلقائيا من ذاته واعتمادا على فردانيته وطاقاته الإبداعية ، ولكنه يستلهم – بوعي أو بدون وعي – وسائل أسلافه ، محولا الواقع من واقعيته ليعكسه على مستوى النص انعكاسا تغدو مرآته مكسورة " .(٣)

يقول الهمذاني في " المقامة الوعظية ":

---

(١) القرني : عائض ،مقامات عائض القرني ، ط٦ ،العبيكان ، الرياض ، ٢٠٠٨م ،ص١٧.
(٢) انظر المرجع السابق ص ٣٧ .
(٣) مفتاح : محمد ، تحليل الخطاب الشعري – استراتيجية التناص ، ص ١٢٣.

" ألا وإن الدنيا دار جهاز . وقنطرة جواز ، من عبرها سلم . ومن عمرها ندم . ألا وقد نصبت لكم الفخ ونثرت لكم الحب فمن يرتع يقع . ومن يلقط يسقط . ألا وإن الفقر حلية نبيكم فا كتسوها . والغنى حلة الطغيان فلا تلبسوها " .[١]

يرى بديع الزمان أن الحياة الدنيا دار يتجهز فيها الإنسان إلى حياة أرقى منها وأبقى ، وهى أشبه بقنطرة من العدم الأول والوجود الكامل ، فمن عبرها وتجاوزها سلم من العذاب ، ومن عمل فيها على أن تكون له مقرا دائما ندم عند حلول أجله .

ويبدو تأثر عائض القرني بالمعنى واضحا حين قال في " المقامة الوعظية ":

"العمر قصير ، والشيب نذير ، والدار جنة أو سعير . نراك تضحك كأنك أتاك أمان ، من الملك الديان ، مالك لا تحزن ، هل عبرت الصراط حتى تأمن ؟ الندم على ما فرطت أحسن ، يا مسكين : إبراهيم الخليل ، وهو النبي الجليل ، بكى ذنبه ، ودعا ربه ، وقال : (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين)".[٢]

وقوله أيضا في المقامة ذاتها :

"أين عقلك يا مغرور ؟ هل نسيت يوم العبور ، وساعة المرور؟ "[٣]

ولم يغفل القرني الاقتباس من القرآن الكريم ليؤكد على المعنى الذي يقصده .

---

(١) الهمذاني : بديع الزمان ، قدمه الشيخ محمد عبده ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط١ ، ٢٠٠٢ م ، ص ١٥٢

(٢) القرني : عائض ،مقامات عائض القرني ، ط٦ ،العبيكان ، الرياض ، ٢٠٠٨م ،ص١٧٢.

(٣) نفسه ص١٦٧.

وأتى الهمذاني بشخصية علي بن الحسين (وهو زين العابدين أبو محمد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم) وهو يعظ الناس ويحذرهم من التمسك بالدنيا ومتاعها ، وضرورة الاعتبار والعظة بمن سبقهم .

يقول الهمذاني في " المقامة الوعظية " :

"وقد سمعت أن علي بن الحسين كان قائما يعظ الناس ويقول : يا نفس حتام إلى الحياة ركونك . وإلى الدنيا وعمارتها سكونك .أما اعتبرت بمن مضى من أسلافك . وبمن وارته الأرض من آلافك . ومن فجعت به من إخوانك . ونقل إلى دار البلى من أقرانك . "(١)

وقد ذكر القرني شخصية علي بن الحسين أيضا في موضع العظة والاعتبار من السابقين ، يقول في المقامة الوعظية :

" أراد علي بن الحسين أن يلبي على الراحلة ، فسقط من الخوف بين القافلة ، فلما أفاق ، قال للرفاق : أخشى أن أقول لبيك ، فيقول : لا لبيك ولا سعديك ، مع أنه زين العابدين ، وريحانة المتهجدين ، لكن القوم عرفوا ربهم ، فبكوا ذنبهم ، وجمعوا خوفهم وحبهم ، فيا صاحب العين التي لا تدمع ، والنفس التي لا تشبع ، والقلب الذي لا يخشع ، إلى متى تؤجل التوبة ، أما لك من أوبة؟" . (٢)

وترمز المقامة الأدبية عند القرني إلى لون من ألوان النقد لأشعار بعض الشعراء، والموازنة بينهم ، وقد سبقه الهمذاني في ذلك ، ففي مقامته القريضية

---

(١) الهمذاني : بديع الزمان ، قدمه الشيخ محمد عبده ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط١ ، ٢٠٠٢ م ، ص١٥٣

(٢) القرني : عائض ،مقامات عائض القرني ، ط٦ ،العبيكان ، الرياض ، ٢٠٠٨م ،ص١٧٢.

تحدث عن السفر والتنقل الذي أتعب ابن هشام، وتلقيه بالشاب الذي يجهل حقيقته وهويته ، ثم انتقل بعد ذلك للحديث عن القريض والمفاضلة بين الشعراء .

وفي تلك المقامة يظهر الحس النقدي الذي تمتع به الهمذاني ليقيم معيارا أساسه الأداء الفني الناضج لدى طبقات الشعراء الجاهليين والأمويين ليتسع المجال بعد ذلك للشعراء المتقدمين والمحدثين .

ويبدأ القرني مقامته الأدبية بالراوي الذي يُحدثه ، ولم تكن هذه عادته في معظم مقاماته ، يقول :

"قال الراوي : سمرت ليلة مع جماعة أبية ، لهم شوق إلى المقامات الأدبية ، والأشعار العربية ، قالوا : حدثنا عن الأدب ، فإنه ديوان العرب ومنتهى الأرب ، ونهاية الطلب " [١]

وتلك نفس المقدمة التي بدأ بها الهمذاني مقامته القريضية ، ويقول :

حدثنا عيسى بن هشام قال : طرحتني النوى مطارحها حتى إذا وطئت جرجان الأقصى . فاستظهرت على الأيام بضياع أجلت فيها يد العمارة . وأموال وقفتها على التجارة ، وحانوت جعلته مثابة . ورفقة اتخذتها صحابة . وجعلت للدار حاشيتي النهار . وللحانوت ما بينهما ، فجلسنا يوما نتذاكر القريض وأهله وتلقاءنا شاب قد جلس غير بعيد ينصت وكأنه يفهم " .[٢]

---

(١) انظر المرجع السابق ص١٨٩ .

(٢) الهمذاني : بديع الزمان ، قدمه الشيخ محمد عبده ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط١ ، ٢٠٠٢ م ، ص٧ .

و يصور لنا عائض القرني أحوال بعض الشعراء تصويرا دقيقا وموقفهم وقدراتهم الشعرية بأنها لاتساوي ربع دينار، وأحيانا بأن الإنسان يصاب عند الاستماع إلى شعرهم بتثاؤب وعطاش، ونوم ونعاس،فيقول :

""إذا قام أحدهم في النوادي، صاح المنادى: هذا شاعر الحاضر والبوادي ،وبلبل النادي ، فيصدق المسكين، قطع بلعومه بالسكين! فيتمايل طربا، ويتيه عجبا ويقول للحضور: (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) فإذا ألقى القصيدة، فكأنما يأكل عصيدة، يلو ي رأسه، ويكظم أنفاسه كأنما(يتخبطه الشيطان من المس) حتى ينادي الجمهور: بس بس. فليت قارئا يبرك على صدره، يضع يده على نحره، ويرش وجهه بماء تبسي، ويقرأ عليه آية الكرسي. فإذا خرج شيطان الشعر الرخيص، وعلم أنه ليس له محيص، وقام هذا المغني، كأنه صبي، ليترك الأشعار. لأهل الاقتدار. "[١]

وهو نفس المعنى الذي قدمه بديع الزمان في مقامته ، وهو المفاضلة والموازنة بين الشعراء ، وكانت تلك القضية من أبرز القضايا التي كانت موضوع اهتمام العرب ، فنجد الهمذاني يميز بين الشعراء من حيث قدراتهم الإبداعية وطبقاتهم ، وأثر أشعارهم في الذوق الجمالي العام ، فضلا عن الخصائص الفنية والأسلوبية التي تميز شعر كل واحد منهم عن الآخر .

ويقول الهمذاني في المقامة القريضية :

" وقال : سلوني أجبكم . واسمعوا أعجبكم . فقلنا : ما تقول في امرئ القيس ؟ قال : هو أول من وقف بالديار وعرصاتها . واغتدى والطير في وكناتها . ووصف الخيل بصفاتها . ولم يقل الشعر كاسبا . ولم يجد القول راغبا . ففضل

(١) القرني : عائض ،مقامات عائض القرني ، ط٦ ،العبيكان ، الرياض ، ٢٠٠٨م ،ص١٩٥ .

من تفتق للحيلة لسانها . وانتجع للرغبة بنانه . قلنا : فما تقول في النابغة ؟ قال: يثلب إذا حنق . ويمدح إذا رغب . ويعتذر إذا رهب . ولا يرمي إلا صائبا . قلنا فما تقول في زهير ؟قال : يذيب الشعر والشعر يذيبه. ويدعو القول والسحر يجيبه. "[١]

(١) الهمذاني : بديع الزمان ، قدمه الشيخ محمد عبده ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط١ ، ٢٠٠٢ م ،ص٩.

الخاتمة

قدمت المقامات نماذج أدبية رائعة للأدباء والمتأدبين ليحتذوها ويحاكوها ويسيروا على منوالها ، مما ساعد على قوة الملكة والموهبة لديهم . فقد أحيت المقامات كثيرا من مفردات اللغة وأساليبها ، وتعلم الناس منها غريب اللغة والسجع وفنون البلاغة المختلفة .

وأهم ما يميز مقامات بديع الزمان – إضافة إلى فنيتها البالغة ونثريتها العالية – الصدق وحرارة التجربة وعمق الإحساس ، ولذا كان لها تأثير متجدد عبر العصور.

و تأثر القرني بالهمذاني في بعض مقاماته سواء من ناحية المعنى أو من ناحية الاقتباس من القرآن الكريم والشعر العربي القديم ، لكنه اهتم كثيرا بالجانب الوعظي والتعليمي والإرشادي مقارنة بمقامات بديع الزمان الهمذاني . وأظهر لونا جديدا من الاستهلال حيث تبدأ كل مقامة من مقاماته بالاقتباس من القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية ،وأبيات من الشعر بدلا من الأساليب القديمة التي تعود عليها القدامى من أصحاب المقامات .

كما تختلف مقامات القرني عن مقامات الهمذاني في أنها خلت من الكدية والاستجداء والتسول ، وخلت من الراوي والبطل أيضا .

المصادر والمراجع

أولاً- المصادر

١. القرآن الكريم .

٢. القرني ،عائض .مقامات عائض القرني . الرياض: مكتبة العبيكان، ط ٦، ٢٠٠٨م .

٣. الهمذاني، بديع الزمان .مقامات الهمذاني ،شرح محيي الدين عبد الحميد .بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت .

ثانياً- المراجع

١.ابن أبي سُلمى ، زُهير.ديوان زُهير. طبع دار الكتاب ، ط١ ، مصر .د.ت.

٢.ابن خلكان.وفيات الأعيان. مطبعة عيسى الحلبي ، ١٩٣٦م.

٣.ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين. لسان العرب. بيروت ، دار الصادر ج٩

٤.بارت ،رولان .دراسات في النص والتناصية. ترجمة د. محمد خير البقاعي ، مركز الإنماء الحضاري ،حلب ، ١٨٩٨ م

٥.بروكلمان.تاريخ الأدب العربي. دار المعارف بمصر ، ط١ ، ١٩٦٤ م .

٦.البستاني ، بطرس.أدباء العرب في الأعصر العباسية. دار الجيل ، بيروت – لبنان.

٧.بكر ، أيمن.السرد في مقامات الهمذاني. الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨م.

٨.الثعالبي ، أبو منصور . يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر . حققه محمد محيي الدين عبد الحميد : مطبعة دار الفكر ،ج٤.

٩. الحريري ، أبو محمد القاسم بن علي.مقامات الحريري. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت – لبنان ، ط١ ،٢٠٠٧م .

١٠. حسن، عباس . نشأة المقامات في الأدب العربي.دار المعارف،القاهرة ،١٩٩٠م .

١١. الحموي ، ياقوت .معجم الأدباء. دار المأمون بمصر ، مطبعة عيسى الحلبي.ج١٦

١٢. سليمان ،موسى .الأدب القصصي عند العرب.ط٣،دار الكتاب اللبناني ، بيروت،١٩٦٠م .

١٣. السيوطي . جلال الدين. مقامات السيوطي الأدبية. القاهرة ، مكتبة ابن سينا ، د.ت

١٤. الشكعة ، مصطفى.بديع الزمان الهمذاني. دار الرائد العربي ، ١٩٧١ م.

١٥. صدقي ، محمد جميل.شرح مقامات الحريري. دار الفكر للطباعة والنشر

١٦. ضيف ، شوقي . المقامة . دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٤ م.

١٧. ضيف ،شوقي.الفن ومذاهبه في النثر العربي. مصر ، دار المعارف ،ط٥ ،١٩٦٠ م.

١٨. عتيق ، عبد العزيز.علم البديع. ط١ ، مطبعة دار الآفاق العربية ، ٢٠٠٢م .

١٩. عوض. يوسف نور.فن المقامات بين المشرق والمغرب. مكة المكرمة ،مكتبة الطالب الجامعي،ط٢، ١٩٨٦ .

٢٠. فاعور ، إكرام.مقامات بديع الزمان . دار اقرأ ، ١٩٨٣ م.

٢١. فروخ ، عمر.تاريخ الأدب العربي. دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ،ط٥، ١٩٨ م .

٢٢. لأحدب ، الشيخ إبراهيم. كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان .المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٨٩٠ م .

٢٣. القرطاجني : حازم.منهاج البلغاء و سراج الأدباء. تحقيق محمد الخواجة ، ط٣ ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٦م .

٢٤. القلقشندي ، صبح الأعشى. طبعة القاهرة ، ١٣٤٠هـ .

٢٥. المالكي ، محمد بن حميدان.حوار ساخن مع د. عائض القرني. ط٣ ،ج١ ،مكتبة الرشد ، بيروت ،١٤٢٤ هـ .

٢٦. مبارك ،زكي.النثر الفني في القرن الرابع. مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٣٤م .

٢٧. مرتاض ، عبد الملك.فن المقامات في الأدب العربي.الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ،١٩٨٠ م .

٢٨. مصطفى ، محمود.الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي. ط٢ ، القاهرة ، ١٩٣٧م.

٢٩. مفتاح ، محمد.تحليل الخطاب الشعري – استراتيجية التناص، د.ت.

٣٠. هلال ، محمد غنيمي. الأدب المقارن. نهضة مصر للطباعة والنشر ،القاهرة ، ط٢ ،٢٠٠٦ م .

٣١. الهمذاني ، أبو الفضل بديع الزمان.مقامات بديع الزمان الهمذاني. شرح الأستاذ محمد عبده ، بيروت – لبنان ، ط٣ ، ١٩٢٤م.

٣٢. يونس ،عبد الحميد .الحكاية الشعبية .المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ،القاهرة ،١٩٦٨ م .

ثالثا- الدوريات

١. عزام ، عبد الوهاب.بديع الزمان الهمذاني. مجلة الرسالة ، العدد ٤٦ ، ١٩٣٤م.

٢. علي، أحمد. القصة في مقامات بديع الزمان الهمذاني. مجلة الدراسات الأدبية الأردنية، بيروت، العدد١، ١٩٦٦م.

رابعا_المواقع الإلكترونية

http://ar.wikipedia.org/wiki%d8%b9d8%

-http:llgololy.comlcvl%d8%b9%d8%a7%d8%a6%d8%b6.

فهرس المحتويات

م	الموضوع	رقم الصفحة
١	المقدمة	٦٧٧
٢	التمهيد :التعريف بعائض القرنى ونشأته	٦٧٨
٣	المبحث الأول : التعريف بفن المقامات	٦٨٥
٤	المبحث الثاني: رواد فن المقامات في الأدب العربي	٦٩٩
٥	المبحث الثالث : آليات التشكيل الفني في مقامات كلٍ من الهمذاني وعائض القرني .	٧١٠
٦	عتبات النص	٧١٠
٧	المحسنات البديعية	٧١٢
٨	الاقتباس والتضمين	٧١٨
٩	التناص	٧٢١
١٠	الخاتمة	٧٢٨
١١	قائمة المصادر والمراجع	٧٢٩
١٢	فهرس المحتويات	٧٣٣